دراسات الأدب المعاصر، السنة الحادية عشرة، خريف ۱۳۹۸، العدد الثالث والأربعون: صص ۹-۳۵

دراسة رواية «شيكاجو» لعلاء الأسوانى على ضوء نظرية الواقعية العظيمة لجورج لوكاتش[۱]

محمود رضا توكلى محمدى*
محمدعلى آذرشب**

تاريخ الوصول: ۹۸/۲/۱۶
تاريخ القبول: ۹۸/۶/۲۱

الملخص

وفق نظرية *جورج لوكاتش*، فى علمية البحث الأدبى يجب ألّا ينظر إلى الأدب من منظار الأدبية فحسب، بل على الناقد أن يتفرس الأثر الأدبى لكى يجد فيه صلةً بين الأديب وبين مجتمعه. تقوم نظرية *لوكاتش* على نقد الشكل والمضمون وطرح لها عدة معايير هى: المضمون الإجتماعى، النموذج، الواقعية وعلاقة العلة والمعلول. فى هذا الصدد سمّى *لوكاتش* الواقعية فى نظريته بالواقعية العظيمة وطرح لها عدّة سمات منها الواقعية الحقيقية أو انتصار الواقعية والواقعية النقدية وشعبية الأدب. حاول هذا المقال وعلى ضوء المنهج الوصفى- التحليلى أن يدرس رواية «شيكاجو» *لعلاء الأسوانى*، الكاتب المصرى المعاصر، فى إطار نظرية الواقعية العظيمة لجورج *لوكاتش* ويبحث عن مدى نجاح الواقعية فى الرّواية المذكورة. فيدلّ مجمل نتائج البحث على أنّ *الأسوانى* استطاع أن يدرس بعض القضايا الإجتماعية المرتبطة بالمثقفين المصريين خارج الحدود المصرية كما حاول أن يدرس المجتمع الأمريكى ولكنّه أدخل فى دراسته آرائه الفردية وايدئولوجيته وفى بعض آرائه الإجتماعية إبتعد عما طرحه *لوكاتش* فى واقعيته العظيمة.

الكلمات الدليلية: النقد الإجتماعى، جورج لوكاتش، الواقعية العظيمة، علاء الأسوانى، شيكاجو.

---

[۱] كتب هذا المقال بالدعم المادى والمعنوى الذى قدمه منظمة "بنياد ملى نخبگان" للكاتبين واستخرج المقال من بحث أنجزه الكاتبان لهذه المنظمة.

* باحث مرحلة مابعد الدكتوراه، جامعة طهران. dr.mrtavakoly@yahoo.com
** أستاذ، جامعة طهران. Dr.azarshab@gmail.com
الكاتب المسؤول: محمود رضا توكلى محمدى

المقدمة

يعدّ النقد الإجتماعى للأدب من المناهج الجديدة التى وُلد ونشأ تحت ظلّ صلة الأدب بالنظريات الإجتماعية المعاصرة عامة والماركسية خاصة، وهو منهج يجمع بين الأدب والمجتمع فى مختلف السطوح والمستويات محاولاً رفع الستار عن العلاقة الثانئية بينهما. فالناقد الإجتماعى يصبّ إهتمامه فى فهم هذه العلاقة بين المجتمع والأدب ويحاول توضيحها وكشف الستار عن غوامضها وما يدور حولها. «ترجع الإرهاصات الأولى للنقد الإجتماعى فى نظريات طائفة من النقاد منهم *مادام دوستال*(١٨١٧- ١٧٦٦) و*هيبوليت تن*(١٨٩٣- ١٨٢٨) وجماعة من الفلاسفة خاصة *كارل ماركس*(١٨٨٣- ١٨١٨) و*فردريک انجلس*(١٨٩٥- ١٨٢٠) ويعدّ اليوم إحدى طرق النقد الأدبى»(كوثرى، ١٣٧٩: ١٦).

مع أنّ الأديب يكتب عما يجيش فى صدره وفى بعض الأحيان يدخل ايدئوليجيته وآرائه الفردية فى آثاره الأدبية ولكنه وعلى كل حال يُعدُّ كل أديب ابناً لمجتمعه ولبيئته التى تعيش فيه، وتؤثر البيئة فى أدبيته وآثاره كما تؤثر آثاره الأبية فى المجتمع وتنزيل الستار عن هذه الارتباط هو الأمر الذى يسعى النقد الإجتماعى وراءه على الإجمال. فحينما يطرح الناقد الإجتماعى سؤالاً عن العلاقة الوثيقة بين الأدب والمجتمع أو يتحدث عن هذه العلاقة، هو فى الواقع ولج الحقل الإجتماعى للأدب. «الإجتماعية التى وردت فى مجال العلاقات القائمة بين الأدب والمجتمع منذ نشأتها إلى تطورها تقوم بشرح أهم النظريات والمفاهيم فيها إضافة إلى عرض تاريخى موجز وتحديد نسبى لبعض المناهج الأدبية التى تتصل بالمجتمع والقضايا الإجتماعية بنوع ما مع أن التوصل إلى تحديد نهائى للمفاهيم النظرية فى حقل العلوم الإنسانية أمر صعب وقد يكون مستحيلا إذ إنها مبنية على مبدأ تعددية المعانى»(أبوشقراء، لاتا: ٣٩).

يتفق معظم الباحثين على أنَّ الإرهاصات الأولى للمنهج الإجتماعى فى دراسة الأدب ونقده بدأت منهجياً منذ أن أصدرت الكاتبة والروائية الفرنسية *مدام دوستال*(١٨١٧- ١٧٦٦) كتابيها «الأدب فى علاقته بالأنظمة الإجتماعية» عام ١٨٠٠م و«عن آلمانيا» عام ١٨١٣م، تتحدث فيه عن دور عامل الهوية القومية وعلاقته بالوسط الإجتماعى وتأثيراتهما فى الإبداع والذوق الفنى والقول الأدبى. فقد تبين أنّ مبدأ الأدب تعبير عن المجتمع (هويدى، ١٤٢٦: ٩٤). تقول *مادام دوستال* بوجود العلاقة بين الأدب وبعض المنظمات

والعقود الإجتماعية كالدين والسياسة والإقتصاد والثقافات الشعبية والدستورات الإجتماعية وما شابه ذلک فى كتابه الشهير «الأدب فى علاقته بالمؤسسات الإجتماعية»، «غير أن *مادام دوستال* ظلت بعيدة عن مفهوم "سوسيولوجيا الأدب" بالمعنى العلمى الحديث إذ قصرت همّها فى كتابها هذا كما حددتها هى نفسها، فى خطابها التمهيدى: البحث فى مدى تأثير الدين والعادات والقوانين فى الأدب ومدى تأثير الأدب فى الدين والعادات والقوانين»(اسكارپيت، ١٩٩٩: ٧).

بعد *مادام دوستال* ظهر *تن*(١٨٩٣-١٨٢٨) الذى حاول أن يخضع الأدب للنظرية العلمية، وعدَّ الأدب انعكاساً عما سيطر على المجتمع من الآداب والأخلاقيات وكيفية تعامل الناس بعضا مع البعض فيه. «اعتقد *تن* بأن العمل الأدبى وليد تعامل ثلاثة عناصر متفقة وهى البيئة والثقافة والتاريخ. يتمظهرُ البيئة فى الجنس أو العرق، والثقافة فى المجتمع، والتاريخ فى الزمن»(علايى، ١٣٨٠: ٢٣). ولكن الإشكالية فى نظرية *تن* ترجع إلى ماهية العلوم والنظريات العلمية من جهة والطابع الإيحائى للآثار الأدبية من جهة أخرى. فالطابع العلمى تخضع تماماً للقياس والتحليل والإكتشاف؛ أما فيما يرتبط بالآثار الأدبية، مع أنه يمكن فى بعض الأحيان أن تخضع لمثل هذه الأمور، فلا يمكن أن نغفل عن الطابع الفردى والشخصى والإحساسى لهذه الآثار؛ «فالعلم تعميم والفن تخصيص. العلم يلاحظ الأشباه والنظائر ليستخلص منها أوجه الشبه فيصوغها فى قانون واحد ينظمها، والفن يلاحظ جزئية واحدة يقف عندها ويحلّل خصائصها»(نجيب محمود، ١٩٦٧: ٨٩).

بعد ظهور العقائد الماركسية فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى وانتشارها الواسع فى الأوساط الأروبية، هيمنت تلک العقائد سيطرته على القسم الأعظم من النظريات الإجتماعية آنذاک. «اعتقد *ماركس* بأن الإقتصاد يعدّ بنية تحتية وظيفته إنشاء السياسة والحكومة والدستور والفن والأدب»(عسكرى، ١٣٨٦: ٤٧)، فاعتقد النقد الماركسى بوجود علاقة واضحة بين الإقتصاد(البنية التحتية) والأدب(البنية الفوقية). «كان للمفكر المادى الماركسى تأثير عظيم فى تطور المنهج الأجتماعى وإكسابه إطاراً منهجياً وشكلاً فكرياً ناضجاً»(منتظرى، ١٣٩١: ١٦٣). فعلى اعتقاد روّاد هذا النقد، إن المهم فى نقد النصوص الأدبية تقييم ارتباط هذه النصوص مع الأحداث الإجتماعية والإقتصادية وانعكاس هذه

الأحداث وكيفيته فی تلک النصوص. فعلی هذا المعيار، النصوص الأدبية العظيمة التی ما تطرقت إلی مثل هذه الموضوعات تدرجُ فی الدرجة الثانية من الأصالة والإعتبار. «فسوسيولوجيا الأدب ليست أرقاما وإحصاءات فحسب، تتناول الطبعة الإجتماعية التی ينشأ فيها المؤلفون أو ميولهم الفكرية وعدد النسخ التی يطبع منها كتاب... بل إنها تتناول- ويجب أن تتناول إلی جانب هذه الأمور- المقومات النفسية للأديب، التی ترتبط إرتباطا جذريا بمقوماته العرقية والظروف الزمانيه والمكانية للبيئة التی نشأ فيها وترعرع والبيئة العائلية والوسط الإجتماعی»(اسكارپيت، ۱۹۹۹: ۱۰). بعد هذه النقاد الذين يعدُّ نظرياتهم النقدية وإنتاجاتهم العلمية الإرهاصات الأولی للنقد الإجتماعی، ظهر ناقدان بارزان يلمع نجمهما فی سماء النقد الإجتماعی، فحاولا أن يأتيا بجديد فی هذا الميدان، فتقدم النقد الإجتماعی تحت ظل نظرياتهما خطوة بل خطوات إلی الأمام، ألا وهما جورج لوكاتش وتلميذه *لوسين جلدمن*.

جورج لوكاتش والنقد الإجتماعی

بنی *لوكاتش* نظريته فی النقد الإجتماعی- خلافاً لروّاد النقد الماركسی- علی أساس الشكل والمضمون وطرح لها عدة معايير هی المضمون الإجتماعی، النموذج، الواقعية وعلاقة العلة والمعلول. فإحدی مقومات نظريته هی الواقعية وطرح لها ثلاث مقومات هی الواقعية الحقيقية أو انتصار الواقعية والواقعية النقدية وشعبية أو أناسية الواقعية. «المدرسة الواقعية تعدّ إطاراً فنياً محدداً لها أفضل صلة وأبرز اتصال مع المناسبات الإجتماعية» (مهرگان، ۱۳۸۸: ۶۰). اعتقد *لوكاتش* أن الإنسان يشكل كياناً واحداً مع المجتمع وعلی الناقد الإجتماعی أن يدرس هذا الكيان برمته وبِغضّ النظر عن دراسة الإنسان منعزلاً عن المجتمع أو العكس. «هناک من يحاول تحديد ماهية الأدب من خلال ربطه بغيره من الظواهر... وخلافاً لكل ما تقدم، ثمة من يری أن الأدب شكل جمالی خالص أو عمل فنی بحت، أو نظام من الرموز والدلالات التی تولد فی النص وتعيش فيه ولا صلة لها بخارج النص، وعلی عكس هؤلاء يری الآخرون أن الأدب تعبير بالكلمة عن موقف الأديب من العالم أو أنه أداة تعبير طبقية أو أنه صياغة لتجربة إنسانية عميقة أو أنه استخدام خاص للغة لتحقيق هدف ما»(الماضی، ۱۹۸۶: ۱۱). طرح *لوكاتش* لنظريته الإجتماعية فی النقد

الأدبى بعض السمات أو الدعائم ووضح كلا منها على حدة. هذا الأمر سبب أن يسمى النقاد هذه النظرية النقدية بالواقعية الإجتماعية أو الواقعية العظيمة. كما مر بنا طرح *لوكاتش* للواقعية فى نظريته هذه، سمات هامة وهى انتصار الواقعية، الواقعية النقدية وأناسية الأدب أو تعايش الأدب مع الناس(راجع: أفضلى: ١٣٩٥: ٦١ وبعد) ففى السمة الأولى وهى انتصار الواقعية يرى *لوكاتش* أنه على الأديب أن يتطلّع فى أدبه إلى أفق الواقعية ويخطو على منواله دون أن يتخطى عنه أو يعدل منه. بعبارة أخرى، حين دراسة عمل الأديب علينا أن نجد هيمنة الواقعية على أفكار الأديب وعقائده وايدئولوجيته. «على الكاتب أن يكتب عما يدور حوله من الحوادث الإجتماعية بشجاعة تامة وبعيداً عن أى ارتباط شخصى يربطه بقضية معينة محببا أو مبغضا»(لوكاتش، ١٣٨٤: ١٦٩).

فى الموضوع الثانى يعنى الواقعية الإنتقادية يرى *لوكاتش* أنه على الكاتب أن يزيل الستار فى أثره عن التشوهات والشذوذ الأجتماعية محاولاً ايقاظ الناس لأجل تعرّفهم على ما يجرى حولهم واتخاذ قرار معين أمامه(راجع: نفس المصدر: ٢٥٨ وبعد). فهو فى جميع آثاره يعتقد بأن الواقعية الحقيقية هى الواقعية الإنتقادية التى استطاعت أن تطرح جميع الأيدئولوجيات والعقائد الشخصية جانبا وأن تسير فى طريق الواقعية الحقة. فالأديب الواقعى الحقيقى فى نظرية *لوكاتش* لا يطبّق الواقعية على ايدئولجيته، وإذا ما أجبر الأديب أن يختار أعزّ ايدئولوجياته أو الواقعية وسيره الطبيعى فى أثره الأدبى، فيختار الثانى على الأول(راجع: لوكاتش، ١٣٧٣: ١٧٨). أما فى أناسية الأدب أو تعايش الأدب مع الناس فيرى *لوكاتش* أنه فى الواقعية الإجتماعية أو الواقعية العظيمة على الأدب أن «يتكلم عن المسائل الأصلية والمحورية فى أعلى درجة ممكنه وأن يمهّد الطريق لولوج أعمق جذور الأحاسيس والأفكار والأوجاع الإنسانية لأجل توضيحها من جهة واصلاحها من جهة أخرى»(المصدر نفسه: ٢٦٣).

فكلّ ناقد أراد أن ينقد عملاً أدبياً وفق نظرية *لوكاتش* الإجتماعية، عليه أن يضع هذه السمات الثلاثة أمام عينيه وأن يطبقّه على العمل الأدبى المطلوب لكى يرى كيفية انطباقه مع النظرية. مع وجود بعض الإشكاليات فى هذه النظرية ومع الجدل الذى أثارته نظرية *لوكاتش* فى الأوساط العلمية، مع كل هذا، يعدُّ الواقعية العظمية جنباً إلى جنب نظرية النقد التكوينى الإجتماعى *للوسين جلدمن*، من أفضل النظريات الإجتماعية التى

طُرحتْ فی ساحة النقد الإجتماعی للأدب. فهذا المقال یرید تطبیق هذه النظریة علی روایة «شیکاجو» *لعلاء الأسوانی* محاولاً إزالة الستار عن مدی ظهور الواقعیة العظیمة وفاعلیّتها فی هذه الروایة.

خلفیة البحث

کتب أبحاث ومقالات ودراسات متعددة حول النقد الإجتماعی والواقعیة الإجتماعیة؛ منها: کتاب «علم إجتماع الأدب مناهج وتطبیقات» للکاتب *إبراهیم فضل الله* وکتاب «اتجاهات نظریة فی علم الإجتماع» *لعبدالباسط عبدالمعطی* و«الأدب للشعب» *لسلامة موسی*. أما بالنسبة إلی المقالات والبحوث الأکادیمیة والجامعیة فیمکننا أن نشیر الی البحوث التالیة:

مقالة «نقد رمان عمارت یعقوبیان بر اساس رئالیسم در نظریه جامعه شناختی جورج لوکاچ» فصلیة نقد ادب معاصر عربی، رقم ١٢. حاولت *أفضلی* أن تأتی بدراسة نقدیة إجتماعیة لروایة عمارة یعقوبیان علی أساس المنهج النقدی الواقعی *لجورج لوکاتش*. مقالة «درآمدی بر جامعه‌شناسی هنر و ادبیات» *لنعمت الله فاضلی*، مجلة فصلنامه علوم اجتماعی، رقم ٧. حاول الکاتب أن یأتی ببعض التوضحیات حول النقد الإجتماعی فی ساحتی الفن والأدب. فهذه المقالة تطرق إلی الإرهاصات الأولی فی النقد الإجتماعی وما یرتبط به من الأبحاث المطروحة حوله.

مقالة «نقد جامعه‌شناختی رمان‌های سه‌گانه أحلام مستغانمی» للکاتبة عزت *ملاابراهیمی*، مجلة فرهنگ و هنر، الرقم الثالث. نقدت الکاتبة فی هذه المقالة الروایات الثلاثة *لأحلام مستغانمی* علی ضوء منهج النقد الإجتماعی ولکن ومع عثورنا علی مثل هذه البحوث القیمة، عدم کتابة بحث حول النقد الواقعی لروایة «شیکاجو» علی أساس مهنج النقد الإجتماعی من جهة ووجود خصائص کثیرة فی هذه الروایة التی مهّدت السبیل لنقد الروایة علی أساس هذا المنهج من جهة ثانیة هو السبب والعامل الرئیس لکتابة هذا البحث. ففی هذا الصدد، یحاول المقال أن یحلل روایة «شیکاجو» *لعلاء الأسوانی* وفق المنهج الواقعی فی النقد الإجتماعی الذی دعا إلیه *جورج لوکاتش* محاولاً الإجابة علی الأسئلة التالیة:

١. ما هى العوامل التى مهدت الطريق لنقد رواية «شيكاجو» على أساس المنهج الإجتماعى؟

٢. كيف تعامل *الأسوانى* مع الأحداث الإجتماعية فى روايته؟

٣. أيمكن أن نعد هذه الرواية رواية إجتماعية ناجحة على ضوء نظرية الواقعية؟

حياة علاء الأسوانى

الكاتب والروائى والأديب المصرى *علاء الأسوانى* ولد سنة ١٩٥٧ الميلادى فى مصر. كان والده *عباس الأسوانى* روائياً محاميا وأخذ *العلاء* مقدرته الأدبية منه. هو طبيب أسنان، أتمّ دراسته الثانوية فى مدرسة الليسية الفرنسية بمصر، حصل على البكالوريوس من كلية طب الفم فى جامعة القاهرة واستطاع أن يحصل على المجاستير فى طب الأسنان من جامعة إلينوى فى شيكاجو بالولايات المتحدة الإمريكية.

يتحدث *الأسوانى* أربع لغات وهى العربية والإنجليزية والفرنسية والإسبانية. من آثاره يمكن الإشارة إلى روايات «أوراق عصام عبد العاطى»، «عمارة يعقوبيان»، «نيران صديقة»، «شيكاجو» و«نادى السيارات». ومن قصصه القصيرة «الذى اقترب ورأى»، «جمعية منتظرى الرئيس» و«نيران صديقة» وكذلك كتب بعض الكتب فى الموضوعات الإجتماعية منها «حادث مؤسف لضابط أمن الدولة»، «لماذا لا يثور المصريون؟»، «هل نستحق الديموقراطية؟».

حصل على عدة جوائز أدبية وما زال يديم كتاباته الأدبية والإجتماعية. من الجوائز التى حصل عليها *الأسوانى* يمكن الإشارة إلى جائزة باشرحيل للرواية العربية(٢٠٠٥). الجائزة الكبرى للرواية... مهرجان تولون فرنسا(٢٠٠٦) وجائزة فردريش روكرت ألمانيا. هو أول أديب يحصل فى العالم عليها حيث أنها تنظم للمرة الأولى(٢٠٠٨). أول مصرى يحصل على جائزة برونوكرايسكى التى فاز بها المناضل الأفريقى *نلسون مانديلا* وتلاه الناشط الفلسطينى الراحل *فيصل الحسينى*. تم اختياره بواسطة جريدة التايمز البريطانية كواحد من أهم خمسين روائيا فى العالم تمت ترجمة أعمالهم إلى اللغة الإنجليزية خلال خمسين عام الماضية. تم اختياره كأبرز شخصية أدبية فى العالم العربى فى استطلاع قناة العربية عام ٢٠٠٧»(https://m.marefa.org/ علاء الأسوانى. ويكى بديا العربى).

ملخص الرواية

حاول *الأسوانی* أن يتكلم فی الرواية عن الجيل المثقف المصری الذی ترک مصر لتحصيل الأدب والثقافة والعلم خارج حدود بلده. فللرواية مضمون اجتماعی بحت أراد *الأسوانی* أن يتطرق من خلاله إلی تقابل الأجيال والأفكار والثقافات المختلفة ووجهات النظر المتباينة بين المصريين.

الرواية تتشكل من ثلاثة قصص متشابكة يربط بعضها ببعض الأشخاص والأماكن والأحداث المشتركة، ولكن سرد الحوادث فی إحدی هذه القصص يتم عن طريق خطاب المتكلم(يعنی أن يحكی الروای روايته بأسلوب ضمير المتكلم) ومع قلم مختلف مع بقية الرواية وبلون أسود وبطل الرواية يعنی ناجی عبدالصمد/ *علاء الأسوانی* هو الذی يسرد الوقائع والأحداث وفی القصتين التاليين عن طريق رواية الشخص الثالث/ الراوای العالم بكل شیء ومن زاوية العلم بالأشياء فيخيل إلی القارئ بأن ناجی عبدالمصد هو الأسوانی وهو الذی يسرد الرواية لنا.

إنّ *ناجی* فی الرواية هو الطالب المعترض الذی منعته الحكومة المصرية من مواصلة دراسته فی مصر بسبب المواقف المعادية التی اتخذها حيال ما يسميه ناجی بتعسف الدولة المصرية ورئيسها حسنی مبارک. فلابدّ له من أن يرحل مصر، فبعد نيله الجائزة الدراسية من جامعة إلينوی فی شيكاجو، يرحل من مصر إلی أمريكا؛ ولكنه يواجه فی هذا البلد وفی مدينة شيكاجو أيضا مشاكل عديدة وفی نهاية المطاف يختطف ناجی من جانب المنظمات الأمنية فی أمريكا وفی عملية سرية مشتركة مع البوليس المصری ويواجه عاقبة غير معلومة وبالأحری مؤلمة وماهذا إلا بسبب موقفه العدائی حيال الدولة المصرية من جهة والعلاقات الودية بين المنظمات الأمنية المصرية والأمريكية من جهة أخری.

أحمد دنانة هو الشخصية التی يمكننا أن نسميها بالشخصية العكسية لناجی عبدالصمد. هو طالب جامعی بلا مواهب ولكنه فی ارتباط وثيق مع المنظمات الأمنية المصرية وهذه الصلة أعطته فرصة الحضور فی أمريكا، فأحمد دنانة يعد رمزاً للذين يحاولون الوصول إلی ما يريدونه بأسباب غير شرعية، الذين لا يقيمون للإنسانية وزناً فی قاموسهم وجل ما يهمهم هو منافعهم الفردية وآمالهم الشخصية. شيماء محمدی فی الرواية هی الطالبة الموهوبة التی استطاعت بفضل ذكائها وعبقريتها أن تدخل جامعة

إلينوى. ولكنها تعلق فى جوّ ذبابى بين ما نشأت فيه من الرسوم التقليديه والثقافة المصرية القديمة وبين ما واجهته فى شيكاجو من الثقافة الأمريكية والحريات التى ليست بها عهد فى مصر وفى حياتها القديمة. ففى مثل هذا الفضاء الذبابى تفقد سيطرتها على نفسها وتقع فى مشاكل عديدة تضعها فى ضيق وحرج.

أما الدكتور صلاح، فهو مصرى أستاذ فى جامعة إلينوى ويعيش مع زوجته الأمريكية ومع أنه عاش اكثر من عشرين سنة فى أمريكا ما استطاع أن ينسى مصر وعشيقته المصرية وحياته الساذجة فيها وفى نهاية مطافه قتل النفس لأنه ما استطاع أن يلائم بين ثقافة المصرية العريقة وبين ثقافته الأمريكية. الدكتور رأفت ثابت أيضا مصرى استاذ فى جامعة إلينوى ولكن شخصيته الفردية وسلوكه الإجتماعى يعارض تماما مع الدكتور صلاح، فهو ينكر جنسيته المصرية انكارا ويعتقد تماما بأنه أمريكى ويتنفر من كل شىء يشم منه رائحة المصر والمصريين، ولكنه يواجه أيضا فى حياته الفردية كثيرا من المشاكل خاصة فيما يرتبطة بابنته الشابة وما عقدت من صلة مع شاب أمريكى مدمن، فثقافته الأمريكية التى تفتخر بها أجبرتها أن يؤيد هذه الصلة وثقافته المصرية تدعوه كى يحول دونها وفى النهاية يواجه جسد ابنته العزيرة فى ساحة بيته.

اللواء صفوت شاكر يعد من الشخصيات الهامة فى هذه الرواية. هو فى الحقيقة رمز للمنظمات الأمنية المصرية، فمع أن حضور هذه الشخصية فى أحداث الرواية قليل، ولكنه كلما دخل فى حادثة فيؤثر عليه تأثيرا يكاد يكون كاملا، فحينا مع الإبتسام وحينا مع الغضب وأحيانا أخرى مع الوعيد و التهديد يدخل فى صلب الموضوع ويغير مسير الأحداث إلى الجهة التى يريدها وتريدها الحكومة المصرية. هذه الرواية تعدّ من الروايات التى تسمى ببطولة المكان، كما يشير العنوان أيضا إلى هذا الأمر، فالبطل الحقيقى فى الرواية هى مدينة شيكاجو وبقية الشخصيات تظهر فى هذا المكان وتبدأ أعمالها فى ظلها وتتفاعل معها، فشيكاجو هو البطل الحقيقى فى الرواية وتجرى الأحداث فى بطنها.

نظرية لوكاتش والنقد الواقعى لرواية شيكاجو

حاول *لوكاتش* أن يستفيد من النقد الماركسى فى نظريته النقدية وأكد فيها على الواقعية وطرح لها عدّة سمات وسماها بالواقعية العظيمة. فهو يعدّ «منظّرا لهذا الإتجاه

عندما درس وحلّل العلاقة بين المجتمع والأدب باعتباره انعكاسا وتمثيلا للحياة، وقدّم دراسات ربط فيها بين نشأة الجنس الأدبي وازدهاره وبين طبيعة الحياة الإجتماعية والثقافية لمجتمع ما تسمّى بسوسيولوجيا الأجناس الأدبية، تناول فيها الطبيعة ونشأة الروايه المقترنة بنشأة حركة الرأسمالية العالمية وصعود البرجوازية الغربية»(فضل، ۱۴۱۷: ۵۵).

بقى *لوكاتش* مخلصا للعقائد الماركيسية ولكن خلافا للذين كانوا قبله من الماركسيين، حاول أن يلائم بين العقائد الماركسية البحتة التى لا يقيم للشكل الأدبي وزناً وبين الجماليات الأدبية والفنية فى الآثار الأدبية. فهو ينظر إلى المضمون ولكن ما يطرح الشكل الأدبى والفنى جانبا. «وقد خصص لوكاتش الكثير من أعماله حول الفكر والأدب والفن مستنداً إلى ربط وثيق بين الذوق الكلاسيكى الذى لا يتوقف عن إبداء إعجابه به وبين العقيدة الماركسية التى بقى مخلصا لها طوال حياته، فكتاباته عن علم الجمال وتنظيراته الأدبية والفكرية لا تزال من المراجع الأساسية للأدباء الواقعيين والنقاد الذين ينهجوا المنهج الإجتماعى(منتظرى، ۱۳۹۱: ۱۶۸).

فعلى هذا الأساس طرح *لوكاتش* ثلاث سمات للواقعية فى نظريته وهى الواقعية الحقيقية أو انتصار الواقعية والواقعية النقدية وشعبية الأدب. فهذا المقال يحاول أن يطبق هذه السمات الثلاثة على رواية «شيكاجو» لكى يبحث عن مدى انطباقية هذه الرواية مع الواقعية فى نظرية *لوكاتش* فى النقد الإجتماعى.

الف. الواقعية الحقيقية أو انتصار الواقعية

كما مر بنا، حسب نظرية *لوكاتش* فى النقد الإجتماعى، على الكاتب، حينما يكتب رواية أو قصة أو يخلق أثرا أدبيا، أن يكتب عن الحقيقة كما هى وبغضّ النظر عن ايدئولوجيته وأفكاره وعما يحبه أو يبغضه. «من البديهى أن يواجهنا هذا الأمر مع مسألة هامة فى جماليات النص. امتد جذور هذا الأمر حتى أعمق أغوار الفن الواقعى ويعد جوهر الواقعية: أن يكون الكاتب ظمآنا للحقيقة ويتطلب الواقعية بحرص وطمع فى جنب الأخلاقيات وطهارة الضمير»(لوكاتش، ۱۳۷۳: ۱۳). حينما يتكلم *لوكاتش* عن الواقعية العظيمة فى نظريته يطرح سؤالا ويقول: «ما صلة كل هذا بالأدب؟ حسب النظرية

التعبيريه أو السريالية التى تنكر علاقة الأدب بالواقع الموضعى ليس ثمة صلة لـه {الواقـع الموضوعى} بالأدب. أما فى النظرية الماركسية للأدب فالصلة قوية جـدا. فـإذا كـان الأدب بالفعل شكلا خاصا لانعكاس الواقع الموضوعى، فمن المهم جدا له أن يستوعب هذا الواقـع كما هو بالفعل، ولا يقتصر على التعبير عما يبدو مباشرة»(لوكـاتش، ١٩٨٥: ١٢٤). فعلـى الأديب فى رأى *لوكاتش* أن يدخل الواقع الموضوعى كما هو وينظر إلى الجـذور ولا يـأتى بما يبدو عليه أولا. ثم يديم كلامه: «لكن ليس ثمة فى الواقع ركود أبدا، إن العمل الفنـى والفكرى يتحرك حتما إما اقترابا من الواقع أو ابتعادا عنه»(نفس المصدر: ١٣٢) فالكاتـب والأديب على عقيدة *لوكاتش* يمكن أن يبتعد عـن الواقـع أو يقتـرب إليـه حسـب الواقـع الموضوعى وكيفية تعامله معه شأن الناقد هنا إماطة اللثام عن هـذه الحقيقـة مـع إمعـان النظر فى آثار الأديب ومقارنته بما هو جرى أو يجرى حقل المجتمع الذى يعيش الأديـب فيه أو يتكلم عنه.

استطاع *الأسوانى* فى رواية «شيكاجو» أن يتطرق إلى آفات المجتمع المصرى العديدة زمن رياسة حسنى *مبارك* وأن يبرزها فى روايتـه هـذه علـى لسـان شخصـياته المصـرية الذين يعيشون فى الولايات المتحدة، كما اسـتغل الفرصـة وتكلـم فـى ثنايـا روايتـه عـن المجتمع الإمريكى وما يشيع فيه- علـى حسـب عقيدتـه- مـن الآفـات الإجتماعيـة. فـى الحقيقة كل ما يتكلم عنه *الأسوانى* فى هذه الرواية مـن الأمـراض الإجتماعيـة المرتبطـة بالشعب المصرى وبالحكومة المصرية المباركية إن صح التعبير، هى التى نقرأها الآن علـى حدٍّ ما فى مختلف الكتب التاريخية والسياسية التى كتبت حـول تلـك الحقبـة التاريخيـة لمصر.

من الطريف أن *الأسوانى* ما يرمى سهامه فى هذا الصدد إلى الجامعة المصرية وحكومـة حسنى *مبارك* فحسب، بل لا ينجو المجتمع الأمريكى أيضـا مـن هـذه السـهام اللاذعـة. فكلما أراد *الأسوانى* أن يتكلم عـن مثـل تلـك الحقـائق المـرة تـدخل فـى ثـوب إحـدى شخصيات روايته ويتكلم بصراحة ودون خوف عما سبّب لبلده أو لأمريكا كثيرا من الآفـات الإجتماعية. على سبيل المثال حينما يريد أن يتكلم عـن ضـعف "الأنـا الشـرقى" حيـال "الآخر الغربى"- الآفة التى كانت شائعة فـى المجتمـع المصـرى وخاصـة بـين المثقفـين المصريين زمن *مبارك*- يرتدى قناع الدكتور رأفت ثابت ويتكلم بحرارة وبجهارة عن تنفره

من مصر ومن الشعب المصرى. فحينما يدخل فى نقاش مع أساتذة جامعة إلينوى فى قبول طالب مصرى أرسل طلبا لتلك الجامعة لمواصلة دراسته فى مرحلة الماجستير فى تلك الجامعة، يرفض هذا الطلب ويتكلم عن الصفات السلبية للشعب المصرى ويقول: «باعتبارى كنت مصريا فى يوم من الأيام فأنا أعرف جيدا كيف يفكر المصريون... إنهم لا يتعلّمون من أجل العلم... وهم يحصلون على الماجستير أو الدكتوراه ليس من أجل البحث العلمى، وإنما من أجل الحصول على ترقية أو عقد مُجزٍ فى بلاد الخليج» (الأسوانى، ۲۰۰۷: ۲۷).

من الطريف أن *الدكتور ثابت* حينما يتكلم عن نفسه، يستخدم عبارة «كنت مصريا فى يوم من الأيام» وهذا هو الذى نسميه بنسيان الأنا واللجوء إلى الآخر، وفى مقطع آخر، حينما يدخل فى صراع مع أحد الأساتذه ويُتهم من قِبله بالعنصرية واتخاذ الموقف العدائى مع المصريين مع كونه مصريا يقول: كنتُ مصريا يوما ما، وقد أقلعت عن ذلك... أيها الرفيق... متى ستعترف بجواز السفر الأمريكى الذى أحمله؟(نفس المصدر) *فالأسوانى* استطاع أن يرسم لنا صورة بعض المصريين الذين خسروا أنفسهم وثقافتهم المصرية أمام الآخر الغربى دون أن يدخل فى هذا الموضوع ايدئولجيته أو حبه للمصر أو كراهيته أو آرائه الفردية.

نجاح *الأسوانى* فى ترسيم صورة الزيف والتملق الذى شاع فى المجتمع المصرى وبين طائفة من المثقفين المصريين فى سبيل الوصول إلى بعض المناصب أو الكراسى الحكومية يبحث فى هذا الإطار أيضا. «مادام الفساد قد أصبح سائداً فى الإقتصاد والسياسة فكيف لا يصيب أيضا الثقافة والمثقفين بل والخطاب الدينى نفسه؟»(أمين، ۲۰۱۱: ۱۵۷). فى هذا الصدد يمكننا أن نتمثل بشخصية أحمد دنانة فى رواية «شيكاجو». هو شخصية لا يهمه أى شىء حيال إرتقائه فى المناصب الرسمية وحصوله على شىء من القدرة والمال و... الذى يضمّن له مكانة إجتماعية راقية فى مصر بعد رجوعه من أمريكا. فيستغل زوجته ويجبرها أن تأخذ من أبيها مبلغا شهريا بذريعة أنه ليس لديه ما يكفى فى الغربة (أمريكا) لسد حاجاته العائلية اليومية، فبعد أن فهمت زوجته أن دنانه يأخذ مرتبا إضافيا وكتمه منها ساءها هذا الأمر وشكت إليها، فأجابها: «لم أخبرك عن الإضافى لأنه لم تأت مناسبة، كما أنك كزوجة ليس من حقك دينيا أن تعرفى مرتب زوجك، وأستطيع أن

أقدم لک الدليل الشرعى على ذلک... أما المبلغ البسيط الذى يساعدنا به أبـوک، فأنـا أراه أمرا طبيعيا؛ لأن ربنا أعطاه مالا كثيرا، أما نحن فنبدأ حياتنا ويجب أن نـدخر... والإدخـار فضيله كبيرة حضنا عليها أشرف الخلق المصطفى صلى الله عليه وسلم»(ص١٠٢).

فدنانة فى الرواية رمز للذين يذللون أنفسهم أمام رؤسائهم لكـى يرضـيهم فـى سـبيل الوصول إلى منفعة مادية ولا يجتنبون من أى عمل غير أخلاقى فى هذا الصدد. اسـتغلال الآخرين، الفرار من الحقيقة، اللجوء إلى الدين واستغلال التعـاليم الدينيـة لتبريـر أعمـال الغير الأخلاقية واللاإنسانية، التملق أمام المسئولين محاولا الوصول إلى مكانـة أو منصـب و... يعد من الرذائل البارزة الأخلاقية لهذه الشخصية.

الفساد الإدارى الذى شاع فى المنظمات الحكومية المصرية زمن رياسة *حسنى مبارک* لا يخفى على أحد. فالإرتشاء وعدم قبول المسئولية حيال المراجعين والسـعى وراء الفـرار من إنجاز عمل مفيد واتلاف الوقت وإهداره فـى الـدوائر الحكوميـة مـن السـمات البـارزه للمجتمع المصرى آنذاک. *الأسوانى* حـاول أن يصـف لنـا فـى روايتـه مثـل هـذه الآفـات الإجتماعية. السمة التى نعدها من خصائص انتصار الواقعية فى نظرية *لوكاتش*.

حينما اتصل الدكتور صلاح بصديقته القديمة زينب وهى فى دائرتها وسـأل عنهـا عـن الوقت المناسب للإتصال وهى فى علمها أجابته: أنا أعمل فى الحكومة المصرية يا صلاح!... عملنا هنا يتلخص فى الحضور إلى العمل... لدينا دائما فائض من الوقت(الأسـوانى، ٢٠٠٧: ٣٨٠) أو حينما يريد أن يتكلم عن مصر على لسان شخصيات روايتـه، فـلا يخفـى نفسـه خلف أى شىء ويتكلم بصراحة ودون خوف: مصر فى أسوأ أحوالها يا صلاح... كأن كـل مـا ناضلنا من أجله أنا وزملائى، كان سرابا... لم تتحقق الديمقراطية ولم نتحـرر مـن التخلـف والجهل والفساد... كل شىء تغير إلى الأسوأ... الأفكـار الرجعيـة تنتشـر فـى مصـر كالوبـاء (نفس المصدر: ٣٨١).

التكلم عن السياسية المصرية زمـن *عبدالناصـر* و*حسـنى مبـارک* وإماطـة اللثـام عـن التعسف السياسى والإجتماعى، وانتشار الفساد واتخاذ السياسات الخاطئة من جهة وتسليم الدولة أمام الأجانب وخاصة الإميركان من جهة أخرى، وهزيمة *عبدالناصر* و*حسنى مبارک* فى برامجهم الإجتماعية والسياسية من جهة ثالثة هى الأمور التـى يشـير إليهـا *الأسـوانى* تارة مباشرة على لسان شخصياته وتارة بصـورة غيـر مباشـرة حينمـا يـتكلم عـن أحـوال

شخصياته المعيشية والإجتماعية والسياسية فی مصر. ففی حوار جری بين جراهام وناجی عبدالصمد، يتكلم ناجی عن أحوال مصر السيئة زمن حسنی *مبارک* ويقول: «المصريون جميعا مضطهدون... النظام فی مصر مستبد وفاسد... وهو يضطهد المصريين جميعا، مسلمين وأقباطا... بالطبع تحدث حوادث تعصب فردية هنا وهناک، لكنها لا تشكل ظاهرة فی رأيی... إن التعصب الدينی نتيجة مباشرة للكبت السياسی... المصريون جميعا يعانون من التمييز ضدهم ما داموا ليسوا أعضاء فی الحزب الحاكم... أنا مثلا مسلم، لكنهم رفضوا تعيينی فی جامعة القاهرة بسبب نشاطی السياسی... أن المصريين يموتون يوميا فی أقسام الشرطة من شدة التعذيب...»(ص۱۶۴).

ما قاله *الأسوانی* فی هذه الفقرة علی لسان عبدالصمد نفس الأمر الذی يؤيده المصادر التاريخية حول فساد الحكومة زمن رئاسة حسنی *مبارک*: «ساد الفساد السياسی بشكل دراماتيكی فی الوزارة الداخلية خلال فترة حكم *مبارک* نتيجة لزيادة السلطة علی النظام التشريعی اللازم لتأمين فترة رئاسة *مبارک* الطويلة، وقد أدی هذا الفساد لسجن شخصيات سياسية... وتأسيس معتقلات مخفية غير قانونية وغير موثقة فی السجلات ورفض العاملين بالجامعات والمساجد والجرائد بناء علی ميولهم السياسية. وعلی مستوی الأفراد سمح لكل ضابط بانتهاک خصوصية المواطنين فی منتطقته بالاعتقال الغير المشروط وفقا لقانون الطوارئ»(www. Ar.m.wikipedia.org تاريخ مصر تحت حكم مبارک) فتتجاهر الكتب التاريخية بالفساد الذی شاع فی المجتمع المصری زمن *مبارک* وفرض هيمنته علی جميع أرجاء البلاد: ففی العشرين سنة الأخيرة تضافرت عدة عوامل قوية لإنتشار الفساد بين الشرائح المختلفة فی المجتمع المصری العليا والوسطی والدنيا، بدرجة لم يعرف مثيل لها لا فی السبعينيات ولا فی الستينيات والخمسينيات(امين، ۲۰۱۱: ۷۷).

أما بالنسبة إلی الحكومة الأمريكية وكيفية تعامل حسنی *مبارک* معه فيأتی الأسوانی بحكاية طريفة حول سكرتير *الرئيس مبارک* للمعلومات، *الدكتور نائل الطوخی* الذی قرر له الإستغناء عن خدماته عقابا له بسبب ما سماه الرئيس فی رسالة رسمية أرسلها إلی السفارة الأمريكية بتصرف *الدكتور طوخی* غير المسئول، وما سبب هذه الرسالة إلا تشجار *الدكتور طوخی* مع موظف بسيط فی السفارة الأمريكية حول أسبقية المرور فی أحد

شوارع أمريكا. ثم يتمثل *الأسوانى* بهذا القول *للمبارک*: الحاكم الذى يتحدى الإدارة الأمريكية كالأحمق الذى يضع رأسه فى فم الأسد(الأسوانى، ٢٠٠٧: ٤١٨) وهكذا تقول المصادر التاريخية حول كيفية تعامل *مبارک* مع أمريكا: التبعية للولايات المتحدة استمرت واقترنت بإذلال أكبر ومهانة أشد، ولكن دون تسمية الساسة الأمريكيين بالأصدقاء كما كان يفعل السادات ودون الإحتفاء بهم(أمين، ٢٠١١: ١٩٨). هذه المهانة هى التى تجعل الرئيس مبارک أن يستغنى عن خدماته سكرتيره الدكتور بهذا السبب البسيط.

من الطريف أن *الأسوانى* لا يقف عند مصر بل هو ينظر إلى مصر وأمريكا من منظار واحد كأنهما وجهان لعملة واحدة، فهو حينما يتكلم عن أمريكا فى روايته، ينظر إلى الإيجابيات والسلبيات ولا يتحاشى أن يتجاهر بما يجرى فى المجتمع الأمريكى من فساد العقيدة والتبعيض العنصرى والمواقف اللاإنسانية التى يتخذها الأميركان أمام الجاليات المختلفة فى أمريكا.

فهذه كارول زوجة جراهام وكانت سوداء، حاولت كثيرا لكى تحصل على عمل وباءت محاولاتها بالفشل بسبب لونها، فتقول لزوجتها فى وصف مقابلتها لشخص أبيض اللون كانت ترجوا منه أن يعطيها عملا: «كان صاحب العمل خنزيرا... ما إن رآنى سوداء حتى أنهى المقابلة. قال إنه سيتصل بى فيما بعد... أكدت له أننى عملت سكرتيرة تنفيذية لسنوات وأن معى شهادات خبرة... لكنه صرفنى بإشارة من يده وكأننى خادمة»(الأسوانى، ٢٠٠٧: ١٩٧) أو فى مقطع آخر يصف *الأسوانى* ما تشعر به كارول من خيبة أمل حيال لونها فى المجتمع الأمريكى الراقى والمثقف هكذا: «كانت قد اعتادت خيبة الأمل ولم يعد هناک ما يصدمها... أكثر ما آلمها معاملة بعض أصحاب العمل البيض لها، لم يكن الواحد منهم يصرح برفضه تعيين السود لأن ذلک مخالف للقانون، لكنه ما إن يراها حتى يبدو على وجهه تعبيرٌ باردٌ مُتَعال وينهى المقابلة واعدا باتصال تعلم جيدا أنه لن يحدث. تعاقبت هذه المواقف المهينة مثل صفعات على وجهها»(ص٢٦٧).

مثل هذه المواقف ووجهات النظر كثيرة ومنتثرة بين دفتى الرواية، *فالأسوانى* بسبب انتمائه للتيار الواقعى ووعيه الثقافى والقومى استطاع أن يبرز لنا ما يجرى فى المجتمع المصرى من الأمراض الإجتماعية والثقافية التى تحيط بالمصريين من جهة وبالحكومة

المصرية والمنتمين إليه من جهة أخرى كما يتكلم عن المجتمع الأمريكى وما شاع فيه من الآفات الإجتماعية. ولكن هنا يجدر الإشارة إلى نكتة هامة، ألا وهى أن الرؤية السوداء السلبية *للأسوانى* حيال المجتمعين المصرى والأمريكى من جهة وهيمنة وجهة نظر الكاتب وسيطرته على ما يعتقده الكاتب حيالهما فى بعض الأحيان لا ما يجرى على أرض الواقع فى مجتمعين وهذا الأمر سبب أن يبتعد *أسوانى* بعض الإبتعاد عما سماه *لوكاتش* بالواقعية الحقيقية.

الواقعية النقدية

كما مر بنا آنفا، اعتقد *لوكاتش* بأنه على الكاتب الإجتماعى أن لا يقف مكتوف الأيدى أمام ما يحدث فى مجتمعه. فالكاتب فى السمة الأولى من السمات الثلاثة التى طرحها *لوكاتش* لنظريته، يشبه المرآة التى تعكس كل ما يحدث فى مجتمعه. ولكن نظر *لوكاتش* إلى أبعد من ذلک وطرح السمة الثانية، يعنى الواقعية النقدية. فعلى هذا المعيار على الكاتب أن ينتقد كل ما يجرى فى مجتمعه من الآفات الإجتماعية بصورة منطقية وأن يجعلها فى بوتقة النقد آملا الوصول إلى مستقبل أفضل وأصلح. ففى رواية «شيكاجو» يوجد كثير من المواقف المباشرة وغير المباشرة التى اتخذها *الأسوانى* حيال الأحداث الإجتماعية محاولا إصلاحها أو لفت انتباه المواطنيين المصريين وحكام مصر إليه؛ مثل هذه المواقف كثيرة بصورة ملفتة نشير إلى بعضها على سبيل المثال ولا الحصر.

فهو حينما يريد أن يتكلم عن الأوضاع السياسية المصرية زمن *عبدالناصر* يستفيد من شخصية رأفت ثابت الذى نشاهد عنده مواقف عدائية لكل ما يجد فيه لونا أو رائحة من المصر والمصريين: «المصريون لا يصلحون للعمل فى أماكن محترمة لأن عيوبهم كثيرة وفادحة: الجبن والنفاق، الكذب والمراوغة والكسى، عدم القدرة على التفكير المنظم وأسوأ من كل ذلک: العشوائية والفهلوة...»(الأسوانى، ۲۰۰۷: ۴۲).

ولكنه لا يقف عند هذا الحد ولا يكتفى بإطلاق هذا الكلام فحسب، بل ينتقد من الحكومة المصرية آنذاک يعنى حكومة *عبدالناصر* ويحيل سبب هذه النزعات العدائية إلى الشعب المصرى من قِبَل رأفت ثابت/ الجيل المصرى المثقف، إلى ما فعله حكومة *عبدالناصر* حيال أبيه/ الجيل المصرى القديم: «هذه النظرة السلبية للمصريين تتوافق مع

تاريخ رأفت ثابت؛ فقد هاجر من مصر إلى أمريكا أوائل الستينيات بعد أن أمم *عبدالناصر* مصانع الزجاج التى يملكها أبوه محمود باشا ثابت، وبالرغم من القبضة الحديدية للنظام آنذاك، فقد استطاع أن يهرب...»(نفس المصدر). بلغ الأمر عنده إلى حد حينما يسأله أحد عن موطنه ومحل ولادته يجيب: «ولدت فى مصر، وهربت من الظلم والتخلف إلى العدل والحرية»(نفس المصدر)

فالأسوانى هنا وبصورة غير مباشره ينتقد الحكومة المصرية وسياسات *عبدالناصر* الخاطئة حيال المصريين، ويرجع سبب هذه الكراهية القاتمة عند بعض المصريين إلى مثل هذه المواقف الحكومية؛ الأمر الذى تؤيده المصادر التاريخية: «المدهش أنّه فى نفس هذه الفترة(سنة ١٩٦٠ ومابعدها) اتخذ *عبدالناصر* إجراءات فى غاية القسوة ضد الشيوعيين المصريين الذين كان من بينهم بعض كبار المثقفين والفنانين الموهوبين. فلسبب ما فضّل *عبدالناصر* أن يؤمم الشركات ويتخذ إجراءات إعادة توزيع الداخل وإنصاف العمال وإشراكهم فى الإدارة فى غياب الإشتراكيين والشيوعيين، إذ أودع كثيرين منهم السجن، حيث تعرض بعضهم للتعذيب، ولم ينج منهم إلا من هرب إلى خارج مصر» (أمين، ٢٠١١: ١٦٣). وفى هذا الصدد يخلق *الأسوانى* شخصية رأفت ثابت ويجعله فى الزمكان الذى يساعد الشخصية فى البوح عما يجيش فى صدرها فى كلام يناسب الشخصية ومكانتها العلمية من جهة وتعارضها مع الحكومة المصرية من جهة أخرى.

التكلم عن البيروقراطية المصرية وإماطة اللثام عنها أيضا يعد من نماذج الواقعية النقدية فى رواية شيكاجو. الأسوانى حاول أن يبرز لنا هذه الخصيصة وينتقدها فى روايته. على سبيل المثال حينما طُلب من ناجى عبد الصمد بعد دخوله جامعة إلينوى أن يطبع اسمها على لافتة ويعلقها على باب غرفته، ذهب إلى مسئول اللافتات وهى عجوزة إمريكية؛ حينما قالت له العجوزة: مُرَّ علىّ بعد الغداء لتتسلم لافتتك(الأسوانى، ٢٠٠٧: ١٢٨). يقول ناجى عبد الصمد وهو الروای كما مر بنا: اندهشت؛ إذ لم يكن قد بقى على الغداء سوى ساعة واحدة(نفس المصدر) ولكن *الأسوانى* لا يكتفى بهذا، بل حينما يستلم ناجى لافتته يسألها: ألا يجب أن أوقّع على إيصال باستلامها؟ أليست هذه لافتتك؟! نعم. هل سيهتم أحد سواك بأن يأخذها؟(نفس المصدر) هنا يشير *الأسوانى*/ ناجى عبدالصمد إلى البيروقراطى المصرى الذى يعانى المصريون منه ويقول: لابدّ أن أتخلص من الميراث

البيروقراطی المصری الذی أحمله فی دمی(نفس المصدر). هذا یعنی المصریون علی حد عقیدة *الأسوانی*، یحملون فی دمهم میراثا بیروقراطیا وهذا المیراث یعد من سمات حکام مصریین کأمثال عبدالناصر وحسنی *مبارک*. *فالأسوانی* استطاع أن ینتقد هذه الآفة الإجتماعیة والحکومیة فی مصر وأن یبرز مدی شیوعها بین المصریین مستعینا بشخصیة ناجی عبدالصمد/ الطالب المعارض المصری وبمکان جامعة إلینوی/ مکانا علمیاً بعیداً تماما عن سمات المجتمع المصری وهکذا استطاع *الأسوانی* أن ینتقد من آفة اجتماعیة مصریة- علی حسب عقیدته- مستعیناً بعناصر روایته.

انتقاد *الأسوانی* من الذین یستغلون الدین والتعالیم الدینیة فی سبیل الوصول إلی أهدافهم ومآربهم الشخصیة أیضا یعدّ من سمات الواقعیة النقدیة فی هذه الروایة. *فالأسوانی* أشار إلی هذا الموضوع فی أکثر من موضع من الروایة وحاول أن یحیل سببه إلی الفساد العقائدی الذی فرض هیمنته علی مصر بصورة کاملة. فهذا کرم دوس وهو مصری قبطی حینما یتکلم مع جراهام وهو أستاذ بجامعة إلینوی، یرجع سبب عدم مواصلة دراسته فی مصر إلی کونه قبطیا: أنا خریج طب عین شمس... ولکنی فررت إلی أمریکا هربا من الإضطهاد...فی أیامی کان رئیس قسم الرجاحة العامة مسلما متشددا، یجاهر بکراهیته للأقباط... کان یؤمن بأن تعلیم الأقباط الجراحة لا یجوز فی الإسلام، لأنّه یمکّن الکفار من التحکم فی حیاة المسلمین(الأسوانی، ۲۰۰۷: ۱۶۳).

أو فی مکان آخر بعد توضیح نقاش وقع بین کرم دوس و أستاذه "بلبع" الذی منعه من مواصلة دراسته فی قسم الجراحة قائلا: لن تکون جراحا؛ هکذا یتکلم *الأسوانی*/ کرم دوس وینتقد من مثل هذه المواقف المشینة التی یخالفها الإسلام الحقیقی کما یخالفه سائر الأدیان الإلهیة: کیف یسمح بلبع لنفسه بأن یقضی علی مستقبل الآخرین بهذه البساطة؟ ألا یشعر بظل من تأنیب الضمیر عندما یتقرف هذا الظلم؟... کیف یستطیع بعد ذلک أن یقف بین یدی الرب وهو یصلی؟(نفس المصدر: ۲۴۲) ولکن وفی نهایة المطاف أصیب بلبع بنوبة قلبیة وأرسل لإرجاء عملیة جراحیة إلی أمریکا والذی أجری هذه العملیة هو کرم دوس. فهذا هو العقاب الذی حدّد له *الأسوانی*؛ کما تدین تدان.

أحمد دنانة، الطالب الذی أرسل مع بعثة إلی أمریکا، لا بسبب مواهبه الفردیة العلمیة وإنّما بسبب صلته بالمنظمات المصریة الحکومیة یعدّ نموذجا کاملا من الذین یستغلّون

الدين فى سبيل الوصول إلى أهدافهم الفردية وآمالهم الشخصية، فهو يتصف فى الرواية بقلة النزاهة والإنتهازية. ففى كثير من أحداث الرواية التى لدنانة فيها دور بارز، نرى أنه يستغل الدين لتبرير آرائه وأعماله. هذا الأمر يمتد حتى إلى حياته العائلية وعلاقاته الزوجية مع زوجته. فهو دائما يستغل الدين كآلة يساعده فى إنجاز أهدافه وآماله. *فالأسوانى* كلما يذكر مثل هذه الأعمال لدنانة، ينتقده مباشرة أو غير مباشرة تارة على لسان شخصياته كزوجته أو بعض الطلاب المصريين فى جامعة إلينوى وتارة على لسان سارد الرواية. الواقعية النقدية عند الكاتب لا يقف فقط فى مرحلة الإنتقاد، بل فى بعض الأحيان على الكاتب الواقعى أن يتكلم عما كان صُدر عن شخص أو فئة أو إجتماع خاطئا، لا نناقش فى مثل هذه الأخطاء، أهى أخطاء حقيقية أم ما وصل اليه الشخصية حالياً هو الخطأ حسب ظروفه الزمكانية. على أى حال، على الكاتب، حسب نظرية *لوكاتش* فى الواقعية النقدية، أن يرسم لنا مثل هذه العقائد. ففى مثل هذه الأحوال، الكاتب ينتقد من شىء وينقده على لسان شخصياته.

فعل *الأسوانى* هذا الأمر حينما يتكلم عن أمريكا على لسان ناجى عبدالصمد وينتقد أفكاره القديمة الخاطئة- على حسب عقيدته- فيما يتربط بالشعب الأمريكى: أنا الآن فى أمريكا التى طالما هاجمتها وهتفت بسقوطها وأحرقت علمها فى المظاهرات... أمريكا المسئولة عن إفقار وشقاء ملايين البشر فى العالم... أمريكا التى ساندت إسرائيل وسلَّحتها ومكَّنتها من قتل الفلسطينيين وانتزاع أرضهم... أمريكا التى دعمت كل الحكام الفاسدين المستبدين فى العالم العربى من أجل مصالحها... أمريكا الشريرة هذه أراها الآن من الداخل... ويلح علىَّ السؤال: هؤلاء الأمريكيون الطيبون الذين يتعاملون مع الغرباء بلطف، الذين يبتسمون فى وجهك ويحيونک بمجرد أن تلقاهم، الذين يساعدونک ويفسحون لک الطريق أمام الأبواب ويشكرونک بحرارة لأقل سبب، هل يدركون مدى بشاعة الجرائم التى تقترفها حكوماتهم فى حق الإنسانية؟(الأسوانى، ٢٠٠٧: ٥٥).

أما شخصياته الأمريكية فهم يعيشون فى جو من التبعيض العنصرى الذى كاد أن يحنقهم. فالأميركان لا يقبلون الشرقيين فى مجتمعهم على الإجمال ولا ينظرون إليهم نظرة ايجابية كما ينظرون إلى السود نظرة الإحتقار. من الطريف أن كتابة هذه الرواية تزامنت مع ترشيح *أوباما*- وهو أول رئيس أسود فى المجتمع الأمريكى- ونجاحه فى

الإنتخابات رئاسة الجمهور فی أمریکا، ولکن کل ما یقرأ هذه الروایة یخیل إلیه بأن المجتمع الأمریکی مجتمع عنصری بحت لا یقیم للسود وزناً أبداً.

بعد تصفح الروایة، یتضح للقارئ بأنّ مثل هذه المواقف کثیرة منتشرة فی طیات الروایة، ولکن الأسوانی ما استطاع أن ینظر الی ما یجری فی المجتمعین دون أن یسیطر علیهما آرائه الفردیة وایدئولوجیته. فنظرة الکاتب علی المجتمعین نظرة قاتمة لا تری فیهما إلا الظلم والتعسف الإجتماعی وفساد العقیدة وانحطاط الأخلاقیات. فقلیلاً ما نواجه شخصیة ایجابیة فی هذه الروایة، فکثیر من شخصیاته عندهم أفکار خاطئة أو عقائد عنصریة أو انحطاط فی الأخلاق أو... بعبارة أخری هو یدخل عقائده الشخصیة ورؤیته السلبیة حیال المجتمع المصری والأمریکی فجل ما یری فی المجتمعین هو الظلم والتعسف والتبعیض العنصری والنظام الفاسد السیاسی و... فهذا الأمر یسبب أن یبتعد *أسوانی* بعض الإبتعاد عما سماه *لوکاتش* فی نظریته بالواقعیة النقدیة.

الشعبیة

حینما یتکلم *لوکاتش* عن الشعبیة فی نظریته، یطلعنا علی شیء مهم فی هذه السمة وهی الصلة بالتراث ویعرّفنا علیه هکذا: «أن یمتلک المرء صلة حیة بالتراث یعنی أن یکون إبناً لشعبه محمولاً علی تیار تطوره؛ وهکذا فإن *مکسیم غورکی* هو ابن للشعب الروسی و*رومان رولان* ابن للشعب الفرنسی و*توماس مان* ابن للشعب الألمانی. إن محتوی وجرس کتاباتهم، رغم کل أصالتها الفردیة... یصدران عن الحیاة، عن تاریخ شعبهم. انها نتاج عضوی لتطور شعبهم ولذا ینبجس من کتاباتهم، علی رقیّها الفنی، جرس یمکن أن یتردد بل یتردد رجعه فی قلب أوسع الجماهیر الشعبیة»(لوکاتش، ١٩٨٥: ١٥٢) ویقول فی مکان آخر: «صلة الحیة بحیاة الشعب والتطور اللاحق التقدمی لتجارب الحیاة الخاصة هذان هما بالذات الرسالة الإجتماعیة الکبری للأدب»(نفس المصدر:١٥٦).

فالأدیب الشعبی فی نظریة *لوکاتش* هو الذی له صلة حیة بحیاة الشعب، بحیث یمکننا أن نسمیه ابن الشعب، فهو مع أسلوبه الشخصی وأصالته الفردیة یندمج الشعب فی کتاباته وکتاباته فی الشعب، فلا نسمع مما یکتب إلا صوت الحیاة والتاریخ والجماهیر. «لا یعدّ الإنتشار الواسع بحد ذاته لنتاج أدبی أو اتجاه أدبی دلیلا علی طابعه الشعبی. إن مأثورات

تقليدية متخلفة وكذلک أشياء حديثة سيئة قد حققت انتشارا جماهيريا، دون أن تكون ولا من ناحية من النواحى شعبية حقا»(لوكاتش، ١٩٨٥: ١٥٢). هذه السمة نجدها نوعا ما فى رواية «شيكاجو». فيكفينا أن ننظر نظرة سريعة وعابرة إلى ما يجرى فى هذه الرواية حتى نرى أكثر من نموذج يجعلنا أن نعترف بوجود بعض سمات الشعبية *للأسوانى* فى هذه الرواية. ففشل كرم دوس لمواصلة دراسته فى مصر بسبب كونه قبطيا يطلعنا على الإضطهاد الذى يعانى منه القبطيون فى مصر، ولجوء ناجى عبدالصمد إلى أمريكا وفراره من مصر يعطينا ما عانى منه الجيل المثقف المصرى تحت وطأة حكم *المبارک*. الصفوت شاكر وأعماله التعسفية وما قام به من كبت وقمع وتعذيب يفتح عيوننا أمام ما قام به البوليس المصرى ومنظمة الأمن الحكومى فى مصر من مثل هذه الجرائم البشعة ضد الشعب المصرى وما صرحت به كتب التاريخ فى طياتها.

شيماء محمدى وما انتابها من أفكار يجعلها كالمعلقة بين ثقافتها المصرى وبين ما رآها فى أمريكا من ثقافة تختلف تماما مع ما اعتادها فى مصر يطلعنا على الدوار الذى أصاب الشعب المصرى المثقف فى صراعه النفسى بين الأنا والآخر وفى كثير من الأحيان هزيمة الأنا الشرقى أمام الآخر الغربى. استغلال التعاليم الدينية والآيات القرآنية والأحاديث الشريفة فى تبرير الأعمال الخاطئة من قِبَل بعض الشخصيات كأحمد دنانه وصفوت شاكر و... يطلعنا على هذه الآفة الإجتماعية والدينية الشائعة فى المجتمع المصرى، وكل هذا يعنى مهارة *الأسوانى* كإبن للوطن فى وصف هذه الآفات والمصائب الإجتماعية فى قالب زاهى الألوان وأسلوب أدبى جميل يراعى فيه *الأسوانى* جماليات الكتابة جنبا إلى جنب جماليات القصة وعناصره من المكان والزمان والرواية والشخصيات بحيث لا يمكن لأحد أن ينكر جماله جنبا إلى جنب واقعيته. فعلى هذا الأساس يمكننا أن نعدّ رواية «شيكاجو» *للأسوانى* روايةً جديرة بالإهتمام على أساس نظرية *لوكاتش* فى النقد الإجتماعى.

نتيجة البحث

البحث حصلت له هذه النتائج:

١. حاول *الأسوانى* أن يشير فى هذه الرواية إلى كل ما رآه فى المجتمع المصرى والمجتمع الأمريكى من التناقضات والآفات الإجتماعية والثقافية. فهو يتكلم عن الفساد

السياسی والدينی الذی شاع فی مصر كما يتكلم عن الفساد الأخلاقی الذی عمم شيكاجو برمتها على أساس ما سماه *لوكاتش* فی نظرية بانتصار الواقعية ولكنه مع هذا ما استطاع أن يضع عقائده الفردية وايدئولجيته جانبا، الأمر الذی ابتعده بعض الأبتعاد عن انتصار الواقعية حسب نظرية *لوكاتش*.

۲. *الأسوانی* ما بقی مكتوف الأيدی أمام هذه الأحداث، بل كلما يتكلم عن آفة اجتماعية فی الرواية يحاول أن ينقدها ويجعلها فی بوتقة نقده آملا الوصول إلی حلّه وجعل المجتمع فی مسير أفضل مما يكون فيه. الأمر الذی يسميه *لوكاتش* بالواقعية النقدية، ولكن *الأسوانی* ينظر إلی الأحداث فی المجتمعين الأمريكی والمصری من منظار ايدئولوجيته القاتم الذی يميل إلی رؤية السلبيات وتجنب من الإيجابيات أكثر مما ينظر إليه من منظار ناقد هدفه الإصلاح نحو الأفضل. فالنظرة القاتمة المسيطرة علی الرواية يأتی من هذا الجانب. فهو من جهة يعرفنا على المجتمع الأمريكی بأنه مجتمع عنصری لا يقيم للإنسانية والعلاقات العائلية وزناً ومن جهة أخری نری كثيرا من الشخصيات المصرية فی الرواية ومع أنهم من المثقفين المصريين والعباقرة الجامعيين أو الساسة الحكومية نراهم ويأملون أن يأخذوا الفيزا الأمريكية كی يعيشوا فی أمريكا ويتوصلون إلی كل ما بوسعهم فی هذا السبيل. فكيف يمكننا أن نعدل هذا التناقض أو نبرره فی الرواية؟

۳. فی النهاية وفيما يرتبط بالسمة الثالثة يعنی شعبية الأدب، فيمكننا القول بأن كل ما نراه فی هذه الرواية من الآراء والنظريات والنقد الذی أتی به *الأسوانی* والشخصيات التی طرحها الكاتب، كل هذا فی صلة وثيقة بالشعب المصری والأمريكی وبما يجری فيهم ولهم. فهذه الرواية كمرآة تعكس ما يجری فی المجتمع ولكن من منظار *الأسوانی* فی بعض الأحيان لا مما يجری على أرضية الواقع والحقيقة؛ كما أن شخصيات الرواية كلها تعد رمزا لطبقة خاصة من المجتمع، فعلی هذا يمكننا أن نسمی الرواية، رواية يجدر أن ينظر إليه على أساس الشعبية فی نظرية *لوكاتش* فی النقد الإجتماعی مع أن *الأسوانی* ما يراعی سمات الشعبية على حد نظرية *لوكاتش* فيها.

۴. فيما يرتبط بجماليات النص والرواية يمكننا أن نقول بأن *الأسوانی* استطاع أن يأتی برواية ناجحة فی هذا الصدد، فرعی الكاتب فی عناصر الرواية من المكان والزمان والشخصيات و... جماليات النص كما أتی بأسلوب جميل بعيد عن التكلف أو الحوشية فی

كتابته. فمع أن *الأسوانى* استطاع أن يأتى برواية اجتماعية يجدر البحث عنها ودراستها على أساس الواقعية حسب نظرية *لوكاتش* الإجتماعية، ولكن لا يمكن أن نسميه رواية منطبقة تماما على الواقعية فى نظرية *لوكاتش* الواقعية.

المراجع والمصادر

أبوشقراء، محی الدین. لا تا، **مدخل إلی سوسیولوجیا الأدب العربی**، الطبعة الأولی، بیروت: المرکز الثقافی العربی.

اسکارپیت، روبیر. ۱۹۹۹م، **سوسیولوجیا الأدب**، تعریب: آمال أنطوان عرمونی، الطبعة الثالثة، بیروت- لبنان: عویدات للنشر والطباعة.

الأسوانی، علاء. ۲۰۰۷م، **شیکاجو**، الطبعة الأولی، مصر- القاهرة: دار الشروق.

أمین، جلال. ۲۰۱۱م. **مصر والمصریون فی عهد مبارک ۲۰۱۱- ۱۹۸۱**، مصر: دار الشروق.

عسگری، عسگر. ۱۳۸۶ش، **نقد اجتماعی رمان معاصر فارسی**، چاپ دوم، تهران: فروزان.

فضل، صلاح. ۱۴۱۷ق، **مناهج النقد المعاصر**، الطبعة الأولی، القاهرة: دار الآفاق العربی.

لوکاتش، جورج. ۱۹۸۵م، **دراسات فی الواقعیة**، ترجمة: نایف بلّوز، الطبعة الثالثة، بیروت: المؤسسة العامة للدراسات والنشر والتوزیع.

لوکاچ، جورج. ۱۳۷۳ش، **پژوهشی در رئالیسم اروپایی**، ترجمه اکبر افسری، تهران: اندیشه‌های عصر حاضر.

الماضی، شکری عزیز. ۱۹۸۶م، **فی نظریة الأدب**، الطبعة الأولی، بیروت: دار الحداثة.

نجیب محمود، زکی. ۱۹۶۷م، **کتاب أرسطوطالیس فی الشعر**، تحقیق: الدکتور شکری عیاد، القاهرة: دار الکتب العربی.

هویدی، صالح. ۱۴۲۶ق، **النقد الأدبی الحدیث**، قضایاه ومناهجه، الطبعة الأولی، لیبیا: منشورات جامعة السابع من أبریل.

المقالات

أفضلی، زهرا و صلاح الدین عبدی و میترا خدادادیان. ۱۳۹۵ش، «**نقد رمان عمارت یعقوبیان اثر علاء الأسوانی**»، دوفصلنامه علمی پژوهشی نقد ادب معاصر عربی، سال ششم، ش۱۲، صص ۸۰- ۵۷.

علایی، مشیت. ۱۳۸۰ش، «**نقد ادبی و جامعه شناسی**»، کتاب ماه ادبیات و فلسفه، شماره ۱۰ و ۱۱، سال چهارم، صص ۳۳- ۲۰.

منتظری، آزاده و محمد خاقانی و منصوره زرکوب. ۱۳۹۱ش، «**النقد الإجتماعی للأدب، نشأته وتطوره**»، فصلیة إضاءات نقدیة(فصلیة محکمة)، السنة الثانیة، العدد السادس، صیف ۱۳۹۱ش/ حزیران ۲۰۱۲م. صص ۱۵۱- ۱۷۲.

مهرگان کوثری، مسعود. ۱۳۷۹ش، «**جامعه شناسی گونه‌های ادبی**»، نشریه علوم اجتماعی، دانشگاه علامه طباطبایی، شماره ۱۰، صص ۱۳۸- ۱۰۹.

المواقع الإلكترونية

https://m.marefa.org علاء الأسوانى

www. Ar.m.wikipedia.org تاريخ مصر تحت حكم مبارک

Bibliography

Arabic Books

Al-Aswani, Alaa (2007) Chicago, 1st Edition, Egypt, Cairo: Dar Al-Shorouk.

Abu-Shaqra, Mohieddin (undated) Introduction to Sociology of Arabic Literature, 1st ed., Beirut: Arab Cultural Center.

Escarbett, Robert (1999) The Sociology of Literature, Arabization: Amal Antoine Aramouni, Third Edition, Beirut, Lebanon: Oweidat for Publishing and Printing.

Amin, Galal (2011) Egypt and the Egyptians in the Mubarak era 2011- 1981, Egypt: Dar Al-Shorouk.

Fadl, Salah (1417 BC) Methods of contemporary criticism, the first edition, Cairo: Dar Arab Horizons.

Lukacs, George (1985) Studies in Realism, Translated by: Naif Blues, Third Edition, Beirut: The Public Institution for Studies, Publishing and Distribution.

Al-Madi, Shukri Aziz (1986) in Literary Theory, 1st ed., Beirut: Dar Al-Hadatha.

Naguib Mahmoud, Zaki (1967), Aristotle's Book of Poetry, edited by Dr. Shukri Ayyad. Cairo: Arabic Book House.

Huwaidi, Saleh (1426) Modern Literary Criticism, Issues and Methods, 1st ed. Libya: Seventh University Publications from April.

Persian books

Asgari, Asgar (2007) Social Criticism of Contemporary Persian Novel, Second Edition, Tehran: Forouzan.

Lukács, George (1994) Research in European Realism. Translated by: Akbar Afsari, Tehran: Contemporary Thoughts Publications.

Magazines

Afzali, Zahra and Abdi, Salaheddin and Khodadadian, Mitra (1395) A Novel Critique of the Emaarat of Yaghoubian by Ala al-Aswani, Quarterly Journal of Contemporary Arabic Literature Criticism, Volume Six, Twelve Pounds, pp. 57-80.

Ala'i, Mashiyat (1380) Literary Criticism and Sociology, month Book of Literature and Philosophy, No. 10 and 11, Fourth Year, pp. 20-33.

Montazeri, Azadeh and Khagani, Mohammad and Zarkoub, Mansoura (1391) Social Criticism of Literature, its Development and Evolution, Critical Illuminations Quarterly, Second Year, Issue 6, Summer 1391 st, June 2012. Pp. 151—172.

Mehregan Kosari, Masood (1379) Sociology of Literary Species, Journal of Social Sciences, Allameh Tabataba'i University. No. 10, pp. 109 - 138.